الفصل العاشر

فضل الحضارة الإسلامية على الغرب

- ارتباط انتشار الإسلام باللغة العربية.
- معابر الحضارة الإسلامية.
- بعض الدراسات الهامة.
- منهج المسلمين في الفتح.
- فضل الحضارة الإسلامية على أوربا.
- اقتباسات أوربا في اللغة والآداب.
- فضل المسلمين على أوربا في مجال العلوم.

خرج المسلمون المجاهدون الفاتحون يحملون رسالة الإسلام العالمية إلى الآفاق، فاستقر الإسلام واستقرت اللغة العربية، واندمج المسلمون فى المجتمعات الجديدة دون أن تذوب شخصيتهم أو تهتز هويتهم، فالإسلام حين دخل إلى بلاد جديدة أثر فى أهلها فاعتنقوه وتعلقوا به واقتنعوا بمبادئه فدافعوا عنه وأصّلوا قيمه وتعاليمه ومن ثم ظهرت نماذج جديدة لحضارات قديمة انصهرت فى بوتقة هذا الدين الجديد.

وكان انطلاق المسلمين إلى خارج شبه الجزيرة العربية إيمانًا برسالة هذا الدين الخاتم، وقناعة بعالمية هذه الرسالة فانتشروا فى الأرض شرقًا وغربًا يحملون معهم هذه الرسالة ليؤثروا فى أهالى البلاد التى وصلوا إليها ويتأثروا بما وجدوه من حضارة ونظم فنظروا وتأملوا ودرسوا وانتقوا، ثم خرجوا بعلم وفن وثقافة ارتبطت بالمكان والإنسان فى كل بقعة وصل إليها المسلمون.

والفضل ما شهدت به الأعداء كما يقولون، فقد اعترف علماء الغرب وفنانوه وكتابه ومثقفوه بفضل حضارة الإسلام عليهم وعلى حياتهم بكافة جوانبها، كما اعترف أهل الشرق بفضل هذه الحضارة وكان أبلغ دليل على هذا الاعتراف ما أسهم به علماء تلك المناطق من إضافات جليلة غيرت كثيرًا من الأنظمة والمفاهيم والقيم والتقاليد التى عرفتها الحضارات القديمة الصينية والهندية والفارسية والبيزنطية وغيرها.

ارتباط انتشار الإسلام باللغة العربية

ارتبط انتشار الإسلام باللغة العربية، فتعلم أهل البلاد المفتوحة لغة العرب، لغة القرآن الكريم وأتقنوا هذه اللغة فغدت فى خلال القرون الستة الأولى وسيلة من وسائل تحصيل العلم حتى كان القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى تربعت اللغة العربية على عرش اللغات المعروفة، بل أصبحت هى لغة العلم يكتب بها العلماء والمثقفون والكتاب والشعراء.

ويمكن القول أنها كانت تصل إن لم تتفوق على مكانة اللغة الإنجليزية فى العصر الحديث.

معابر الحضارة الإسلامية

اتصل الشرق بالغرب، وانتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوربا عبر معابر هامة أوصلت علوم المسلمين وثقافتهم إلى المدن الأوربية، فعن طريق التجارة والتبادل الاقتصادى بين تلك المناطق انتقلت أفكار كثيرة منها السليم الصحيح ومنها الخاطئ المشوش، وكان للحروب الصليبية دور هام فى نقل التراث الإسلامى والحضارة الإسلامية إلى الغرب، كما كان لحركة الترجمة التى ازدهرت فى العصر العباسى وبصفة خاصة فى عصر الخليفة المأمون أثرها فى حفظ التراث القديم لليونان والرومان والهند والصين والفرس، والذى نقل بدوره إلى اللغات الأوربية.

كان أيضًا لبلاد الأندلس الدور الأساسى فى انتقال الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية إلى بلدان أوربا، ومن أبرز وأهم تلك الآثار نشأة الجامعات الأوربية التى اقتبسها الأوربيون عن المدارس الإسلامية.

إن فضل الحضارة الإسلامية على العالم شرقه وغربه يتمثل بشكل واضح فى ذلك التفاعل الفكرى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى بل ومجالات الإبداع الفنى حين التقى المسلمون بثقافات البحر المتوسط، تلك الثقافات التى صبغتها المسيحية بصبغتها، كما التقى المسلمون بثقافات بدائية فى القارة الأفريقية حيث كان امتداد الفتح الإسلامى من الشمال الأفريقى إلى وسط وغرب تلك القارة، هذا بالإضافة إلى امتزاج الفكر الإسلامى بما كان فى قارة آسيا.

وكان التفاعل الحضارى بين المسلمين وبين أهالى تلك القارات فى معظمه تفاعلاً سلميًا، ارتبط بروح التسامح وفهم الآخر واحترام ثقافته وفكره، ذلك أن المسلمين حين دخلوا بلادًا مثل الشام ومصر والشمال الأفريقى، أو مثل العراق وفارس، وجدوا حضارات قديمة راسخة كما وجدوا ديانات سماوية أو وثنية، فكان لابد لهم من التعامل مع ذلك الوضع الجديد، وظهرت عبقرية المسلمين فى التعامل مع الواقع الملموس الذى وجدوه فى تلك البلدان، فكان ذلك النتاج الرائع بين الحضارة فى كافة جوانبها علمًا وفكرًا، نثرًا وشعرًا، فلسفة وحكمة، طبًا وعلومًا، موسيقى وغناء، ولم

يقتصر إبداعهم على ذلك فقط بل ظهر أيضا فى النظم والإدارة والاقتصاد والأموال والحرب والسياسة وإعداد الجيوش.

لقد اعترف جوزيف شاخت وهو من المستشرقين الذين تحاملوا على الإسلام كثيرًا بأن «إسهامات الإسلام والحضارة الإسلامية فى الحضارة الإنسانية عدد لا يحد»، ومع ذلك فإن واجب المؤرخ المسلم أن يوضح إنجازات الإسلام والمسلمين وأثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الإنسانية، وفضلها على العالم الذى على رغم تقدمه العلمى والثقافى والتكنولوجى فى العصر الحديث ما زال ينعم بإنجازات وإسهامات تلك الحضارة العريقة.

بعض الدراسات الهامة

من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن هناك العديد من الكتب والبحوث والدراسات التى أدلت بدلوها فى هذا الموضوع الهام والحيوى الجديد القديم فى الوقت ذاته، من ذلك نذكر كتاب: Legacy of Islam الذى ظهر فى مطلع القرن الماضى وبالتحديد عام ١٩٣١م، وطبع عدة مرات كان آخرها ١٩٦٠م وفى هذا الكتاب يقدم عدد من المستشرقين بحوثًا حول إنجازات الحضارة الإسلامية وأثرها فى الغرب، ومن أهم الموضوعات التى يتناولها، الحروب الصليبية، الجغرافيا والاقتصاد، الفنون الجميلة وأثرها فى الفنون الأوربية، الفن الإسلامى وأثره فى العمارة الأوربية، الأدب، والتصوف، والتوحيد والفلسفة، والقانون والمجتمع، والعلوم والطب.

ويلمس الباحث الجهد المبذول فى تلك البحوث، واهتمام هؤلاء المستشرقين بدراسة وتحليل تلك الموضوعات وإن لم يخلُ بعضها من كثير من التفسيرات الخاطئة والتأويلات المغرضة والآراء المغلوطة، لكن ذلك على كل حال موقف متوقع حين يكتب الباحث متأثرًا بمعتقداته الدينية وآرائه وقناعاته الذاتية.

كذلك من الأهمية بمكان الإشارة إلى كتاب آخر يحتمل العنوان ذاته The Legacy Islam الذى أشرف عليه المستشرق الألمانى الأصل الأمريكى الجنسية جوزيف شاخت حتى وفاته عام ١٩٦٩م، وهذا الكتاب يختلف اختلافًا كبيرًا عن سابقه الذى أشرف عليه المستشرق الإنجليزى توماس أرنولد ونشره عام ١٩٣١م.

قام على إعداد هذا الكتاب كل من جوزيف شاخت، وكليفورد بوزوورث وترجم إلى العربية فى مطلع السبعينيات من هذا القرن ومع ذلك فإنه لا يغنى عن الكتاب الأول ولا يحل محله رغم اتفاق عناوين بعض الفصول.

ويكفى الإشارة هنا إلى ما جاء فى مقدمة المترجم لهذا الكتاب الذى يقول: انتهى العصر الذى كان يقول فيه المستشرقون شيئًا فيجيبهم المشرقيون: آمين!! وعلى الأسطر مما يجب أن يناقش ويرفض ويصحح فى هذا الكتاب الكثير.

وعلى النقيض من ذلك فإن كتاب شمس الإسلام تسطع على الغرب للدكتورة زنجريد هونكه يوضح فى فصوله فضل العلماء المسلمين ودورهم فى التأثير فى فكر الغرب، فقد كان علماء المسلمين روادًا فى مجالات شتى من مجالات الحضارة الإنسانية.

ويقول جوستاف لوبون صاحب كتاب :حضارة العرب» الذى ترجم إلى العربية: «إن القوة لم تكن عاملاً فى انتشار القرآن، لقد ترك العربُ المغلوبين أحرارًا فى دينهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من اليسر الذى لم يعرفوه من قبل».

ويقول أيضًا: أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الجديدة، إن النظم والأديان ليست بما يفرض قسرًا فعاملوا كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة فى الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعون سابقًا فى مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم».

وأوضح هنا أننى لست بصدد سرد كل ما كتب حول هذا الموضوع بل أشير فقط إلى بعض أهم المؤلفات فيه إن لم تكن أهم ما ألف بشكل عام، مع وضعنا فى الاعتبار أن الدراسات والبحوث فى هذا الموضوع مستمرة والاهتمام بدور المسلمين وحضارتهم لا ينقطع وما تزال أقلام الباحثين تتناوله فى شتى مجالاته.

تقوم الدول وتنتصر الجيوش وتتصارع الحضارات وتتنافس الأجناس والأعراق وتستمر الحروب ثم تنتهي وتزول وتبقى فقط المنجزات الحضارية والقيم الإنسانية والإبداعات الفنية، فأين الطغاة الذين أرقوا العالم بطغيانهم، وأين المحاربون المفسدون في الأرض وأين المغول الذين دمروا في طريقهم حضارات الإنسان وإبداعاته؟ كل ذلك زال، ولم تبق سوى الأعمال الخالدة التي تركها الإنسان في مصر أو العراق، في الهند أو الصين، في بلاد اليونان أو الرومان متمثلة في أفكاره وفنونه وعمارته في مدنه ومعابده ومكتباته، في حكمته وفلسفته، في قوانينه ونظمه من علم وطب كل ذلك أفاد العالم ولا يزال يفيد.

يقول أرنولد توينبي في كتابه فلسفة التاريخ: إن تحدي الإنسان لظروفه جعله يبدع ويتغلب على تلك الظروف، لقد أملت الظروف على الإنسان تحديات صعبة فواجهها بالاستجابة سلبًا أو إيجابًا، من خلال تلك النظرية، نظرية التحدي والاستجابة Challeng & Response واجه الإنسان مشكلاته السياسية والاقتصادية والبيئية وتغلب عليها فكانت إنجازاته وإبداعته، تمثل هذا في قدرة الإنسان على إقامة حضارته؛ وينسحب ذلك على المسلمين الفاتحين الذين تحدوا ظروفهم في كل منطقة وصلوا إليها. وكانت الاستجابة بأن طوعوا تلك الظروف وتغلبوا عليها فأقاموا حضارتهم في مناطق مختلفة عن شبه جزيرة العرب مناخًا وسكانا وتضاريسَ وأفكارًا.

لقد احترم العرب البلاد التي دخلوا واستوعبوا حضارة أهلها وأضافوا إليها بعد أن تمثلوها، ففاقوا بذلك صناعها الأصليين وتعلموا بسرعة مذهلة فنون الحرب واستعمال الآلات وأتقنوا تعلم الفنون والعلوم فكانت مدارسهم مراكز لتعلم العلوم ونقلها، واستعانوا بالمهرة في الفنون والبناء والعمارة من مهندسي ومبدعي البيزنطيين والمصريين والفرس ثم تمكنوا تدريجيًا من التخلص من المؤثرات الأجنبية وتفردوا بفنونهم وذوقهم الخاص.

منهج المسلمين في الفتح

وهناك من العوامل التي جعلت المسلمين يؤثرون في الأمم الأخرى ويتركون بصماتهم واضحة؛ من ذلك المراكز الحضارية التي أقامها أو اتخذها المسلمون قواعد لنشر

الإسلام والحضارة الإسلامية، فالمدينة المنورة كانت أولى تلك المراكز التى انتشرت منها حضارة الإسلام والمسلمين، ثم انتقل الثقل الحضارى بعد ذلك إلى دمشق ومنها إلى بغداد، وكان لقرطبة والقاهرة دورهما الكبير فى نشر الحضارة الإسلامية فى غرب الدولة الإسلامية.

كذلك كان لاهتمام الخلفاء وأولى الأمر فى الدولة الإسلامية بالعلم والعلماء أثره البالغ فى تشجيع العلماء وتوفير المناخ الملائم للبحث والدراسة والتفرد والامتياز.

هذا بالإضافة إلى المناخ الحر الذى أتاحه الإسلام للعلماء المسلمين والإمكانيات التى وفرها الرخاء الذى تمتعت به الدولة الإسلامية ونعم مواطنوها بالسلام والاستقرار.

كان لبغداد وما وصلت إليه من رخاء ورفاهية خاصة فى العصر العباسى الأول دورها الهام فى نشر الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى فى بلاد المشرق.

فمن بغداد خرجت الوفود والرسل إلى أقاليم الشرق تحمل رسالة الإسلام إلى بلاط ملوك الشرق، كما تحمل أفكار وتعاليم الإسلام إلى أهل تلك المناطق.

وحين تمتعت الدولة الإسلامية بذلك المستوى الكبير من الرخاء والأمن استقرت نظمها وقوانينها متمثلة فى الدواوين، ومن أهمها ديوان البريد مما جعل الطرق آمنة والتجارة رائجة والقوافل منساحة، والسفارات متتالية والأخبار واصلة مما أشاع الأمن والطمأنينة فى ربوعها.

واتضحت مظاهر الرفاهية فى قيام الفنادق والبيمارستانات والمدارس والمراصد، واتسع نطاق الزراعة والصناعة ما ترتب على ذلك من تجارة ازدهر خلالها تبادل السلع والبضائع التى صدّرت إلى مختلف المناطق. ومن أشهر تلك السلع كان الحرير الذى قامت مصانعه فى الموصل وحلب ودمشق، واستغل المسلمون ثروات بلادهم فاستخرجوا المعادن كالحديد والرصاص والكبريت والملح وغيرها.

كذلك استدعى الخلفاء العلماء من مختلف البلدان إلى بغداد، وليس من قبيل المبالغة القول بأن المسلمين قد توصلوا إلى درجة رفيعة من العلم والتقدم؛ فقد بلغ علم الفلك على سبيل المثال درجة عظيمة من التفوق؛ إذ استطاع علماؤه التوصل إلى نتائج سبقوا بها الشرق والغرب على السواء، ويمكن إيعاز ذلك إلى أن المسلمين بعد أن أتموا مهمتهم

الأساسية فى نشر الإسلام وإنجاز الفتوحات الإسلامية كانت المرحلة التالية وهى مرحلة الاستقرار والبناء، وهنا تتأكد نظرية ابن خلدون فى بناء الدولة، حيث يكون على الجيل الثانى ترسيخ دعائم تلك الدولة تمهيدًا لقيام نهضة حضارية تميز تلك المرحلة.

كان للمسلمين منهج فى إدارة البلاد المفتوحة وخاصة تلك البلاد التى شهدت قيام دول أو حضارات قديمة وكان ذلك ما فعلوه فى بلاد فارس التى شهدت حضارة الساسانين لفترة طويلة، كما شهدت نظمًا إدارية واقتصادية وعسكرية عريقة، وهنا نجد موقف الفاتحين من هذه الحضارة موقف المتعلم الذى يريد أن يفيد ممن سبقه، فاقتبسوا من حضارة الفرس ما وجدوه ملائمًا مع قيمهم ومبادئهم، ومن ثم تأثروا بفنونهم وعمارتهم؛ لكن سرعان ما تأثر الفرس بما أبدع العرب بعد أن تمت عملية الصهر والاندماج الحضارى بين الحضارتين.

وكان أثر الحضارة الإسلامية كبيرًا على بلاد الفرس وخاصة فيما يتعلق بأمور الدين واللغة والعلوم.

أما بالنسبة لبلاد الهند فقد تقدم المسلمون إلى أراضيها حتى وصلوا إلى كابل، وأدى ملكها الجزية للعرب وذلك منذ عام ٣٤هـ/٦٦٤م، وتمكن للمسلمين الأمر فى تلك البلاد حين فتح المسلمون مملكة السند فى ٩٣هـ/٧١١م واستمرت صلات المسلمين بالهند والصين، ومن خلال علماء المسلمين أمثال البيرونى حيث نقلت كثيرا من العلوم والمعارف إلى تلك المناطق، ومن الطريف الإشارة إلى أن الهندوس نقلوا بعض تلك الكتب نَظْمًا إلى السنسكريتية.

ويبدو أن ما اقتبسه الصينيون من العرب أهم مما فعل الهندوس فقد عرفوا رسالة الفلك لابن يونس وذاع صيتها، كما دخل الطب العربى منذ القرن الثالث عشر إلى بلاد الصين.

فضل الحضارة الإسلامية على أوربا

وإذا كنا ألمحنا إلى تأثير الحضارة الإسلامية وفضل العرب صنّاع هذه الحضارة فى الشرق، فإن فضل الحضارة الإسلامية على الغرب أكثر أثرًا وأشد نصوعًا؛ ذلك أن الحضارة الإسلامية قد أثرت فى العقلية الغربية بداية، وأسهمت الثقافة الإسلامية فى

إعادة تشكيلها بعد أن منيت بالجمود والتخلف قرونًا عديدة، لم تصْحُ ولم تستيقظ إلا على أيدى الفكر الإسلامى الذى بثه العلماء المسلمون والمفكرون المسلمون فى أوربا.

وإذا كان الشائع أن بيكون هو مؤسس المنهج العلمى الحديث فقد آن الآوان أن يصحح هذا الرأى وأن يعزى الفضل إلى أهله، وقد فطن إلى ذلك عدد من العلماء الأوربيين المحدثين ومنهم جوستاف لوبون صاحب كتاب «حضارة العرب» الذى يقول: «لم يلبث العرب بعد أن كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان، إذ أدركوا أن التجربة والترصد خير من ألف كتاب».

ويضيف: «ويعزى إلى بيكون على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم، وقد أيّد هذا الرأى جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب».

ويقول سيديو: «إن أهم ما اتصفت به مدرسة بغداد فى البداءة هو روحها العلمية الصحيحة التى كانت سائدة لأعمالها، وكان استخراج المجهول من المعلوم والتدقيق فى الحوادث مؤديًا إلى استنباط العلل من المعلولات وعدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة، مبادئ قال بها أساتذة من العرب، وكان العرب فى القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهاج المجدى الذى استعان به علماء القرون الحديثة بعد زمن طويل للوصول إلى أروع الاكتشافات».

أسهمت الحضارة الإسلامية إذن فى تشكيل العقلية الأوربية التى أقامت النهضة الأوربية، ولولا ذلك الدور الهام لعلماء الإسلام لتأخر قيام النهضة الأوربية لعدة قرون، ولما قامت الاكتشافات العلمية التى عرفتها أوربا مطلع العصر الحديث.

والقضية الهامة التى يجب الالتفات إليها هى أنه فى عصر الازدهار الإسلامى والرقى العلمى والفكرى الذى حققه العرب، كانت أوربا تعيش عصور الظلام والتخلف والضعف والركود العقلى والروحى، وكانت لسيطرة الكنيسة على الحياة العامة أثره فى ذلك الركود والتخلف كما كان للصراع بين الكنيسة والإمبراطورية بالإضافة إلى التنافس على السلطة والنفوذ أكبر الأثر فيما وصل إليه المجتمع الأوربى من ضعف وتفكك.

ومـن هنـا كان المجتمع الأوربى متعطشًـا للنهضة الفكرية والانفتـاح على روافد جديدة للحضارة والتقدم، فكان العلم والفن الإسـلامى، وكان فى العربية والترجمات وانتقال المعرفة الضالة المنشودة لذلك المجتمع.

اقتباسات أوربا فى اللغة والآداب

وليـس مـن قبيل المبالغة أن نذكر أن اللغة العربية التى ظلت لقرون لغة أهل العلم والأدب، بـل كتب الفرس لغتهم بالحروف العربية، كما كتب الترك لغتهم بحروفها وحتـى اللغة اللاتينية التى لم تحل اللغة العربية مكان لغاتها القديمة إلا إنها – أى العربيـة – كان لهـا أثر عميق فى اللغات اللاتينية حتـى ألفت المعاجم فى الكلمات العربية التى اقتبسها الأسبان والبرتغاليون فى لغتهم.

ويعترف سـيديو بأن اللغة الفرنسـية واللغة الإيطالية قد اقتبستا من اللغة العربية الكثير. فقد كان أهلها سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى.

لقـد اقتبس ملوك فرنسـا معظـم اصطلاحات الصيـد من اللغـة العربية، والأهم مـن ذلك اقتباس أوربـا للمصطلحات العلميـة مثل المصطلحات الفلكيـة والرياضية والكيماوية وغيرها.

وإذا كان هذا أمر اللغة فإن الفلسفة الإسلامية كان لها أثر كبير فى الفكر الأوربى. وهنا تجب الإشـارة إلى أن الفلسفة الإسـلامية كان لها وضع خاص، فلم يحقق فيها العرب منذ البداية تقدمًا يقارن بما حققوه فى المجالات الأخرى. إذ حظيت الفلسفة منـذ البدايـة بكراهة الناس والحكام، وتعرض الفلاسـفة للنفى والاضطهاد من بعض الحكام المسلمين.

ومن هنا رأى الفلاسفة العرب فصل الدين عن الفلسفة حتى لا يتعرضوا لما يوقعهم فى مشـكلات تخص العقيدة. وقد حسم الإمام الغزالى هذه القضية حين قال: وليست الحقائق التى يؤيدها العقل هى كل ما فى الأمر، فهناك من الحقائق ما يعجز إدراكنا عـن الوصول إليه، ونحن نقول بها وإن كنا لا نقدر على اسـتخراجها بقواعد المنطق وبالأصول المعروفة، وليس مما يخالف الصواب وجود افتراض قائل بوجود دائرة فوق

دائرة العقل، وإن شئت فقل دائرة التجلى الربانى، ونحن إذا كنا نجهل سنن تلك الدائرة ونواميسها جهلاً تامًا نجد الكفاية فى قدرة العقل على الاعتراف بإمكانها».

وكانت آراء ابن رشد ذات أثر بعيد فى فلسفة الغرب والفكر الفلسفى الأوربى، وابن رشد هو شارح الفلسفة الأرسطية. ويعد ابن رشد أعظم فلاسفة الإسلام سابقًا لعصره فقد قدم الكثير من الآراء الحرة التى نقلها الغرب مما أيقظ العقلية الأوربية من سباتها.

أثرت الثقافة الإسلامية فى أوربا فكان تأثير الشعر العربى واضحًا؛ فمن الثابت أن الأوربيين اقتبسوا القافية من العرب كما يظهر بشكل واضح أثر الشعر العربى فى الشعر الأسبانى والشعر البروفنسى.

وعن الأدب العربى نقل الأوربيون القصص والأقاصيص، فالعرب هم الذين ابتدعوا روايات الفروسية، وكان الأدباء يجتمعون فى المساء بجوار خيامهم وفى مضاربهم يستمعون إلى القصص الغريبة التى تتخللها الموسقى والغناء مثل ما كان يحدث فى غرناطة.

وتحتفظ بلاد الأندلس بما ترجم من أقاصيص وأخبار عن حياة المجتمعات بما يشمله من رقص الفرسان والغزل والتشبيب.

ومن أشهر أقاصيص العرب مقامات الحريرى ومقامات الهمذانى وألف ليلة وليلة، واشتهرت مقامات الحريرى ٤٤٦ : ٥١٥هـ/١٠٥٤ : ١١٢١م فى الشرق كما نالت شهرتها فى الغرب وتحتفظ المكتبة الوطنية فى باريس بنسخة خطية مصورة منها.

كذلك فإن الحكايات والأمثال لها أهمية عند العرب وعنهم اقتبست أسبانيا وبقية البلاد الأوربية غير قليل.

فضل المسلمين على أوربا فى مجال العلوم

أما الفضل الأكبر للحضارة الإسلامية على أوربا فكان فى الرياضيات والعلوم التجريبية والتطبيقية.

ففيما يتعلق بالرياضيات فنشير بداية إلى دورهم فى تحويل علم الجبر تحويلاً تامًا، وإليهم يرجع الفضل فى تطبيقه على علم الهندسة.

وكان الخليفة المأمون قد طلب إلى محمد بن موسى الخوارزمى فى أوائل القرن التاسع الميلادى تأليف كتاب الجبر، وكانت ترجمة هذا الكتاب هى التى نقلت إلى علماء أوربا معارفهم الأولى عن علم الجبر.

والعرب هم الذين أدخلوا المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب مقام الأوتار، وطبقوا علم الجبر على الهندسة، وحلوا المعادلات التكعيبية، وتعمقوا فى مباحث المخروطات، وحولوا علم المثلثات الكُرِّية بردهم حل مثلثات الأضلاع إلى بضع نظريات أساسية تكون قاعدة له.

ويرى بعض العلماء أن إدخال المماس إلى علم المثلثات ثورة علمية مباركة، هذه الثورة جهلها كوبرنيك: ١٥٤٣:١٤٧٣م الذى ظهر بعد ذلك بعدة قرون.

وجاء ثابت بن قرة ليستكمل ما بدأه الخوارزمى وعنه نقل الإيطاليون طريقة حل المعادلات التكعيبية أى معادلات الدرجة الثالثة.

ويقول الدكتور عز الدين فراج يرحمه الله فى كتابه: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية: «... إن مؤلفات العلماء المسلمين فى الحساب والجبر وحساب المثلثات قد بلغت شأنًا كبيرًا، ولولاهم لما عُرف ما وضعه الإغريق من مبادئ فى هذا المجال، ولولاهم لما جاءت هذه الإضافات الكثيرة والتصحيحات العديدة فى هذه الميادين، ولولاهم لتخبط أهل أوربا فى هذه المجالات، ولعجزوا عن معرفة معالم الطريق وحتى لو بدأوا من أول الطريق لاحتاجوا إلى عشرات القرون ليصلوا إلى نقطة النهاية التى تركها لهم علماء المسلمين ليستكملوا المسيرة».

وعلى رغم ظهور عدد من علماء الرياضيات الأوربيين فى مطلع القرن الماضى فسيظل لعلماء المسلمين الفضل فى وضع الأسس الصحيحة لتلك العلوم.

وإلى جانب اهتمام المسلمين بالرياضيات فقد أولوا علم الفلك عناية ملحوظة ارتبطت بقيام بغداد واهتمام خلفاء بنى العباس بهذا الموضوع.

لقد حث خلفاء بنى العباس العلماء على ترجمة ما ألفه اليونان فى علم الفلك وخاصة كتابات إقليدس وأرشميدس وبطليموس وغيرها من مؤلفات فى هذا المجال كذلك أقام العباسيون المراصد وأهمها مرصد بغداد الذى أنجزت فيه أعمال وبحوث فلكية مهمة، ومن أهمها كتاب الزيج الصحيح الذى فقد إلا أن بعضًا من معلوماته قد

نقلت خلال مؤلفات أخرى، وعن طريق هذا الزيج استطاع الفلكيون المسلمون تعيين انحراف سمت الشمس فى ذلك الزمن، وكان رقم الانحراف ٢٣ درجة، ٣٣ دقيقة، ٥٢ ثانية وهو ما يعادل الرقم الحالى.

ووضع علماء بغداد الكثير من التقاويم لتعيين أماكن الكواكب السيارة، وتعيينهم مبادرة الاعتدالين.

وكان لعلماء الفلك المسلمين أثرهم البالغ فى الارتقاء بعلم الفلك فيما قدموا من أزياج فلكية، ومن أهم هؤلاء البتانى المتوفى فى عام ٣١٧هـ/١٩٢٩م صاحب كتاب «الزيج الصابى» والذى ترجم إلى اللاتينية ترجمة محرفة كما يذكر جوستاف لوبون، وقد وُضع البتانى فى مصاف أشهر علماء الفلك فى العالم وعددهم عشرون.

كما شهد القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى موسى بن شاكر وأبناءه الثلاثة وهم الذين عينوا بضبط لم يكن معروفًا قبلهم مبادرة الاعتدالين، ووضعوا تقاويم لأماكن النجوم السيارة وقاسوا عرض بغداد بدقة متناهية.

كذلك أضاف الفلكى أبو الوفا محمد بن محمد بن يحيى ٣٢٩هـ/٩٥٠م إلى علم الفلك إنجازًا جديدًا وهو الاختلاف القمرى مستكملاً بذلك نظرية بطليموس وذلك ما يعرف اليوم بالاختلاف.

ولم يكن اهتمام المسلمين بعلم الفلك مقصورًا على المشرق أو على عاصمة الخلافة وإنما امتد الاهتمام ليشمل بلاد الأندلس، فظهر العالم الفلكى مسلمة المجريطى المتوفى فى عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م ومن أبحاثه أفاد الأسبان فى وضع الأزياج الفلكية المعروفة بجداول الفونسو. وللمجريطى مؤلفات فلكية هامة، من أشهرها رسالة الاسطرلاب، وثمار علم العدد. كذلك قام المجريطى باختصار زيج البتانى وأسماه تعديل الكواكب.

ولمع من فلكىّ الأندلس الزرقانى ويعرف أيضًا بالزرقيل وهو من رجال القرن الحادى عشر، وله مؤلف نفيس يسمى زيج طليطلة وصنع عديدًا من الأجهزة الفلكية ومنها الأسطرلاب.

كذلك كان بالقاهرة مرصد عمل فيه ابن يونس محتذيًا طريق البغداديين فرصد كسوفين للشمس وذلك عامى ٣٦٧ : ٣٦٨هـ/٩٧٧ : ٩٧٨م مما يعد تسجيلاً مرجعيًا

للعلمـاء. وابن يونـس هو تلميذ أبى الوفا، قام بإجراء أبحاثـه فى مرصد القاهرة فى قلعة المقطم.

كذلك ظهر فى المشرق الإسلامى أبو ريحان البيرونى ٣٦٣: ٤٤٠هـ/٩٧٣: ١٠٤٨م وألـف السـلطان محمود بن مسـعود كتابًـا أسماه: القانون المسـعودى فـى الحياة والنجوم.

واستخدم المسلمون آلات فلكية أعانتهم على الرصد ودقة العمل ومنها الأسطرلاب الـذى تدل صناعته على مهارة وحذق كبيريـن ويوجد فى المكتبة الوطنية فى باريس ثلاثة أسطرلايات عدا ما يوجد فى متاحف أخرى مثل أسبانيا.

كذلك صنعوا الكرة الفلكية ويذكر ابن السـنبدى الذى اشتهر بالقاهرة فى منتصف القرن الحادى عشر ٤٣٢هـ، ١٠٤٠م أن مكتبة المدينة كانت تضم كرتين فلكيتين وستة آلاف كتاب فى الرياضيات وعلم الفلك، وكان من أشهر تلك الكتب «الزيج الحاكمى» الـذى وضعه ابن يونس للحاكم بأمر الله والذى حل محل الأزياج التى وضعت قبله، ووصلت شهرة هذا الكتاب أنه كان مصدرًا لكتب الفلك التى ألفت بعد ذلك.

وفى أفريقيا كان لإنجازات أبى الحسن المراكشى الذى كان يعيش فى القرن الثالث عشر الميلادى أثر كبير فى تقدم علم الفلك فقد عين بضبط لم يسبقه إليه أحد العرض والطـول لإحدى وأربعين مدينة أفريقية بين مراكش والقاهـرة، وألف كتابًا دوّن فيه مشـاهداته أسماه: جامـع المبادئ والغايات فى علم الميقـات، ضمنه عددًا من آلات الرصد العربية.

ولا يمكـن تلخيص إنجـازات العرب الفلكية التى امتدت شـرقًا وغربًا، وأفادت منها أوربا عن طريق ترجمة المؤلفات والأزياج أو عن طريق نقل الآلات والأدوات التى استخدمها علماء الفلك المسلمين فى تجاربهم وأبحاثهم.

ويجب الإشـارة إلى أن ترجمة المجسطى من العربية إلى اللاتينية على يد جيرارد الكرمونـى فـى ١١٧٥م، وذلك بعـد وصوله إلى الأندلس قادمًا مـن إيطاليا تعد فتحا علىعلماء الفلك فى أوروبا أبناء موسـى وأعمال الخوارزمى والفرغانى وثابت بن قرة وزيـج جابـر بن الأفلح والزرقانى كان لها أبلغ الأثر فـى تحويل الفكر الأوروبى وقد

.ساعده في إدخال تلك الترجمات رايموند أسقف طليطلة وكبير مستشارى ملوك قشتالة مما حدى بالمستشرق رينان أن يقول: إن ما فعله هذا الأسقف كان له أبعد الأثر في مصير أوربا.

والأسقف رايمون هو الذى رعى مدرسة المترجمين الطلطليين حيث ترجموا نفائس الأعمال العربية في الفلك، والطب، والطبيعة، والرياضيات، وعلى طليطلة وفد الكثيرون من العلماء الأوربيين لينهلوا من ذلك العلم الذى انتقل بعد ذلك إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترا مؤثرًا بذلك فى العقلية الأوربية وفاتحًا الطريق أمام علم المسلمين إلى الغرب لينفض عن كاهله غبار وجمود وتخلف عصوره الوسطى.

كذلك لابد من الإشارة إلى أن هذا التقدم فى علم الفلك قد انعكس على علم الجغرافيا الذى حقق فيه علماء الإسلام إنجازات هائلة امتد أثرها إلى أوربا، فالعرب هم أصحاب السبق فى تصحيح ورسم الخرائط لليابسة والمحيطات وعلى أساسها درس علماء أوربا هذا العلم.

وفى مجال العلوم البحتة حقق المسلمون تقدمًا اعترف به الغرب، فكان لهم دور أساسى فى علم الفيزياء، وإن فقدت الأعمال الهامة فى هذا المجال لكن كتاب الحسن ابن الهيثم فى البصريات الذى ترجم إلى اللغتين اللاتينية والإيطالية فاستعان به علماء أوربا، الذين اعترفوا بأن كتاب الحسن بن الهيثم هو مصدر معارفهم للبصريات.

وكذلك الوضع بالنسبة لعلم الميكانيكا، ودليلنا على ماوصل إليه المسلمون فى هذا المجال هو الآلات التى تركوها مثل بندول الساعة الدقاقة التى أرسلها هارون الرشيد إلى شارلمان، وكانت ساعة مائية تدق كل ساعة بسقوط كراتها النحاسية على قرص معدنى.

وحقق المسلمون شهرة كبيرة فى صناعة الساعات الدقاقة، ومنها ساعة المسجد الأموى فى دمشق التى وصفها ابن جبير، مما يدل على مهارة الصانع المسلم وخبرته الكبيرة فى ذلك المجال.

أما الكيمياء فكان لما توصل إليه العلماء العرب أبلغ الأثر فى تعريف ما كان مجهولاً من المركبات الكيميائية كماء الفضة وماء الذهب والبوتاس وملح النشادر

وحجر جهنم (نترات الفضة)، وتلك من اكتشافات جابر بن حيان الذى استطاع من خلال تجاربه أن يصف العمليات الكيميائية مثل التقطير والتصعيد والتبلور والإذابة والتحويل.

والكيميائيون العرب هم الذين استخدموا الكيمياء فى الأغراض الصناعية مثل استخراج المعادن وصنع الفولاذ ودباغة الجلود، ولهم إضافات هامة فى الطب والصيدلة، وكل هذا نقلته أوربا مما أسهم فى تقدمها الصناعى والعلمى فى عصر النهضة.

ومجال العلوم التطبيقية يشهد للعلم الإسلامى بمكانة مرموقة، فالتجارب التى أجراها علماؤهم دخلت مجال التطبيق فاستخدموا ذلك فى الصناعات المختلفة مثل استغلال المناجم لاستخراج المعادن كالنحاس والكبريت والزئبق والذهب والحديد.

وتميزوا فى صناعات كثيرة كصناعة الأسلحة والورق والنسيج والجلود مما أعطاهم السبق والريادة فى تلك الصناعات.

والعرب هم الذين اخترعوا البارود، وعن طريقهم عرفت أوربا المراكب المحرقة التى استخدمها المسلمون فى معاركهم البحرية ضد البيزنطيين؛ وإن كانت النار الإغريقية سبباً فى هزيمة جيش المسلمين وأساطيلهم على أبواب القسطنطينية إلا أنهم سرعان ما فهموا أسرارها وأضافوا إليها، واستخدموها ضد الصليبيين، وقد راع جوانفيل مؤرخ الملك لويس التاسع والحملة الصليبية السابعة استخدام المصريين للنار اليونانية إذ قال إنها: أفظع شىء رآه فى حياته، وإنها نوع من التنانين الكبيرة الطائرة فى الهواء.

وهناك عدد من المخطوطات العربية التى ترجمت إلى اللغات الأوربية لما كان يستخدمه العرب من البارود والأسلحة النارية مع وصف دقيق لطريقة حشو البارود والقذائف التى كانت تستخدم فى حصار المدن والمواقع العسكرية.

وللعرب مع الورق شأن كبير، صحيح أن الورق عرف بداية فى الصين وكان يصنع من شرانق الحرير، وقد وصلت صناعته إلى سمرقند فى مطلع القرن الأول الهجرى فلما دخلها العرب الفاتحون وجدوا بها مصنعاً للورق الحريرى.

وكان القدماء يكتبون على أوراق البردى والجلود، وفى أوربا كانوا يكتبون على الجلود، لكن غلاء ثمنها كان عائقًا جعل الكتابة أمرًا صعبًا ومن ثم كانت ندرة المخطوطات الأوربية.

وتمكن المسلمون من استبدال الورق المصنوع من شرانق الحرير بورق مصنوع من القطن، وقد عثر على مخطوط فى مكتبة الإسكوريال فى أسبانيا يعود تاريخه إلى ١٠٠٩م مكتوب على ورق مصنوع من القطن وهى أقدم المخطوطات الموجودة فى أوربا.

والثابت أن العرب هم الذين استخدموا القطن فى صناعة الورق، ثم استخدموا الأسمال فى صناعة الورق الذى لم تستخدمه أوربا إلا بعد زمن طويل من استخدام العرب له. ومن المفيد الإشارة إلى أن أقدم ورق موجود فى أوربا من هذا النوع (الورق المصنوع من الأسمال) هو الورق الذى استخدمه جوانفيل فى كتابه إلى الملك لويس التاسع قبل وفاته عام ١٢٧٠م.

كذلك عرفت أوربا ورقًا مصنوعًا من الأسمال قبل ذلك التاريخ ذكره الإدريسى وهو ذلك الورق الذى كتب عليه معاهدة الصلح بين ملك أرغونة وملك قشتالة وذلك فى عام ١١٨٧م وهذا الورق من إنتاج مصنع شاطبة الذى أقامه المسلمون لصناعة مثل هذا الورق، وعليه تكون صناعة الورق قد انتقلت إلى أوربا عن طريق الأندلس وأن استخدام الأوربيين للورق جاء نتيجة لوجود مصنع شاطبة. وقد طور العرب صناعة الورق فاستخدموا مواد جديدة من القنب والكتان وهما من المحاصيل التى كانت موجودة بكثرة فى بلاد الأندلس.

ونحن نتحدث عن فضل الحضارة الإسلامية على الغرب لابد من الإشارة إلى دور المسلمين فى نقل الطب والعلوم الطبية إلى أوربا.

فقد برع علماء المسلمين فى الطب وكتبوا مؤلفات هامة ترجمت إلى اللغات الأوربية، وعدد أطباء المسلمين أكثر من أن يحصى فقد خصص أبى أصبيعة مجلدًا من كتابه لتراجم الأطباء ومن أشهرهم الطبيب العالم الموسوعى أبو بكر الرازى.

وأبو بكر الراوى ٢٣٤ : ٣٢٠هـ/ ٨٨٥ : ٩٣٢م زاول مهنة الطب فى بغداد لمدة نصف قرن فاكتسب خبرة عملية كبيرة، قرأ ما كتب قبله وفند ذلك ونقده ثم وضع مؤلفاته الهامة، ومن خلال ممارساته الطبية، كتب عن الحميات ذات البثور كالحصبة والجدرى، وهو واضع أول كتاب فى طب الأطفال. أما أهم كتبه فهو الحاوى فى الطب، وكتاب المنصورى.

ترجمت كتب الرازى إلى اللاتينية وطبعت مرات عديدة فى البندقية ١٥٠٩م، وفى باريس ١٥٣٨م. ثم أعيد طبعه عام ١٧٢٨م. ونقلت كتبه عن الحصبة والجدرى إلى جامعات أوربا وظلت أساسًا مرجعيًا للتدريس فى تلك الجامعات.

وتشكل مؤلفات الأطباء المسلمين مع الرازى كابن سينا وعلى بن العباس القواعد الأساسية للطب النظرى والطب العملى للعاملين بالطب فى أوربا لعدة قرون، والجدير بالملاحظة أن كتب ابن سينا أشهر أطباء المسلمين على الإطلاق ومنها كتاب القانون فى الطب ظلت مرجعًا عامًا للطب لمدة ستة قرون، وذلك بعد أن نقلت إلى اللغات الأوربية، استخدمتها جامعات فرنسا وإيطاليا وكانت طباعاتها تنفد ويعاد طبعها حتى القرن الثامن عشر.

وللجراحة عند العرب مكانة عظيمة وكان من أشهر الجراحين المسلمين أبو القاسم القرطبى الذى تخيل آلات الجراحة ورسمها وعنه أخذت أوربا واعترفت بفضله حيث قيل عنه «كانت كتب أبى القاسم المصدر الأساسى الذى استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر».

وتزعم الأوساط العلمية الحديثة أن عملية تفتيت حصوات الكلى اختراع حديث، لكن الثابت أن أبا القاسم قد وصف عملية سحق الحصاة فى المثانة.

وأشار أبو القاسم فى كتابه الكبير فى الجراحة إلى عمليات الكلى وما يحتاج إلى الاستئصال وطب وجراحة الأسنان والعيون والفتق والولادة وإخراج الحصاة، كما أشار إلى الكسر والخلع.

طبع الكتاب فى ترجمة لاتينية عام ١٤٩٧م وظل مصدرًا أساسيًا تستعين به الجامعات الأوربية حتى عام ١٨٦١م.

وكان لابن زهر الأشبيلى أيضًا أعمال هامة فى الطب والجراحة والصيدلة وكذلك أسهم ابن رشد فى تفسير كتب ابن سينا، وعرفت أوربا كتب ابن رشد فى الطب وأفادت منها.

وطبق المسلمون هذه المعارف الطبية فى بيمارستاناتهم ووضعوا لها نظمًا لا تقل عن نظم المستشفيات الحديثة، ويصف جوستاف لوبون مشافى المسلمين بأنها كانت تماثل مشافى أوربا فى العصر الحديث فكانت تستقبل المرضى، كما كانت هناك المستشفيات التعليمية التى تستقبل الطلاب، وعرف المسلمون وخصصوا مشافى لمرضى الجزام ومرضى الأمراض العقلية.

والطب الحديث مدين للطب العربى الإسلامى والأطباء المسلمين بما قدموه من أساليب العلاج واستخدام الدواء واستخدام المرقد أى طريقة للتخدير وذلك قبل إجراء العمليات المؤلمة.

هذا فضلاً عن الاكتشافات الهامة مثل اكتشاف الدورة الدموية الصغرى والدورة الكبرى وخيوط الجراحة وكثير من الأدوات التى كانت أساسًا لما وصل إليه الطب الحديث.

ويتواصل الحديث عن دور المسلمين فى نقل الفنون بأنواعها إلى أوربا منها ما يتعلق بالفنون الجميلة كالنحت والزخرفة واستخدام المعادن وصناعتها، والأحجار الثمينة وصناعة الحلى والترصيع والتكفيت والتمويه.

ولعل تفوقهم فى البناء والعمارة لا يزال شاهدًا على مهارة الفنان المسلم، حقيقة أنه اقتبس عناصر معمارية مختلفة من البيئات التى وصل إليها لكنه سرعان ما ظهرت شخصيته المستقلة، ولعل جامع قرطبة من أجمل الشواهد على قدرة الفنان المسلم على الاستيعاب والإبداع تمثل فيما ظهر من طرز معمارية إسلامية كالتى ظهرت فى بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس امتزجت فى الحضارة الإنسانية بيزنطية وفارسية وهندية مما يؤكد أن عين الفنان المسلم كانت تستقى بعناية وتختزن بدقة ثم تبدع ذلك فى نماذج جديدة تشهد على عبقرية هذا الفنان.

والحق أن الحضارة الإسلامية باعتبارها حضارة إنسانية راقية تميزها أصولها الثابتة التى تستمدها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة متفردة بهذا بين

الحضارات الأخرى، قدمت للعالم نماذج رائعة من العلم والفن، من الأدب والأخلاق، من الحكم والسياسة، من القانون والاقتصاد، نماذج تهذب الروح والوجدان وترقق المشاعر، وترقى بالأحاسيس، تحقق القيمة الأساسية من خلق الإنسان ليعمر الأرض ويمشى فى مناكبها ويعبد الله ويسبح بحمده ويشكر نعمته.

ولعل الخاتمة المنطقية لتبيان فضل المسلمين وفضل اللغة العربية لغة القرآن الكريم الإشارة إلى ما ذكره المستشرق جوستاف لوبون فى خاتمة كتابه «حضارة العرب» إذ يقول: «إن الأمم التى فاقت العرب تمدنًا قليلة للغاية، وإننا لا نذكر أمة، كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة فى وقت قصير مثل ما حققوا، وإن العرب أقاموا دينًا من أقوى الأديان التى سادت العالم، أقاموا دينًا لا يزال تأثيره أشد حيوية مما لأى دين آخر، وأنهم أقاموا من الناحية السياسية دولة من أعظم الدول التى عرفها التاريخ، وأنهم مدّنوا أوربا ثقافة وأخلاقًا فالعروق التى سمت سمو العرب وهبطت هبوطهم نادرة، لم يظهر كالعرب عرق يصلح أن يكون مثالاً بارزا لتأثير العوامل التى تهيمن على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها».

نعود فنؤكد على ريادة الحضارة الإسلامية التى وُضعت قواعدها فى المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى على عهد النبى ﷺ ورسخها من بعده خلفاؤه الراشدون، وعلى النهج سار المسلمون يحملون رسالة الإسلام، ينشرون الدعوة ويعملون من أجل إرسائها ويعلمون الدنيا مثلما علمهم النبى ﷺ، وتنهل من ثقافتهم الشعوب والأمم مؤكدين بذلك عالمية هذا الدين وصلاحه لكل زمان ومكان.

خاتمة

يضم هذا الكتاب فصولا عشرة تناولت الجوانب المختلفة للنظم والحضارة الإسلامية.

إن الخط الرئيسى الذى يجمع فصول هذا الكتاب ويلمسه القارئ فى صفحاته، هو التأكيد على أصالة النظم الإسلامية وأن نشأة هذه النظم وتطورها بدأت مع قيام الدولة الإسلامية فى المدينة وتطورها عبر العصور الإسلامية المختلفة.

ولا يعنى هذا الاتجاه إنكارا لحق الشعوب المختلفة التى دخلت فى الإسلام، والتى نلمس إسهاماتها جلية فى الجوانب المادية والمعنوية للحضارة الإسلامية، فقد كان للأجناس المختلفة من بربر وترك وفرس وأحباش وغيرهم لمسات مشهودة فى تطور النظم والحضارة الإسلامية لكن هذا لم يكن ليتم إلا بالمناخ الحر الذى أتاحه الإسلام وبتشجيع أولى الأمر للعلماء والمفكرين، وإتاحة الإمكانات المختلفة لتحقيق التطور والإزدهار.

إن عدالة الإسلام وتسامح المسلمين أنتج الانصهار بين تلك الشعوب والأجناس فى تناغم فريد أدى إلى قيام تلك النهضة الحضارية التى شهدتها الدولة الإسلامية؛ وامتدت إشعاعاتها لتؤثر بشكل واضح فى الشرق والغرب.

إن النظم الإسلامية هى أنماط فكرية حرة قدمها المسلمون وعلى المفكرين المحدثين أن يعيدوا قراءتها والنظر فيها من أجل عالم يتمتع بالاستقرار والحرية والعدالة.

وفى هذا الصدد تتضاعف مسئولية المؤرخ المسلم المعاصر من أجل إبراز قيمة الحضارة الإسلامية بنظمها وقيمها ومفاهيمها التى تقدم الحلول لكثير من مشكلات العالم المعاصر.

ادعو الله أن يتقبل هذا العمل وأرجو أن يكون خالصا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير. وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

د. فتحية النبراوى

مدينة نصر

٣ ذو القعدة ١٤٢٩هـ/ ١ نوفمبر ٢٠٠٨م

مصادر ومراجع الكتاب

أولاً- المصادر العربية:

ابن الأثير عز الدين أبو الحسن على

○ الكامل فى التاريخ - ١٣ جزءًا - دار صادر للطباعة والنشر- بيروت ١٩٦٥

○ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية - تحقيق عبد القادر طليمات - القاهرة ١٩٦٣

ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد

○ معالم القربة فى أحكام الحسبة - تحقيق محمد محمود شعبان - القاهرة ١٩٧٦

ابن أيبك الدوادارى

○ الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب - تحقيق د. شعبان عاشور - القاهرة ١٩٧٢

ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى

○ رحلة ابن بطوطة، جزءان.

ابن تيمية تقى الدين

○ السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية. راجعه وعلق عليه محمد عبد الله السمان - الرياض ١٩٥١

○ الحسبة فى الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية - تقديم محمد المبارك - دمشق ١٩٦٧

ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى

○ رحلة ابن جبير: دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٤

ابن الجوزى أبو الفرج

○ عمر بن الخطاب: قدم له وعلق عليه أسامة عبد الكريم الرفاعى.

بيروت. بدون سنة نشر

ابن جوقل

○ صورة الأرض – منشورات دار الحياة – بيروت بدون سنة نشر

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد

○ المقدمة – الجزء الثانى – تحقيق د. على عبد الواحد وافى – القاهرة ١٩٥٨

ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد

○ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحيق د. حسان عباس ٨ أجزاء – بيروت بدون سنة نشر

ابن سلام عبد القاسم الهروى

○ كتاب الأموال – تحقيق خليل الهراس، جزءان – القاهرة ١٩٦٨

○ كتاب الأمول – تحقيق محمد عمارة – دار الشرق– القاهرة ١١٩٨٩

ابن شداد القاضى بهاء الدين

○ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية – تحقيق د. جمال الدين الشيال.

الإسكندرية ١٩٦٧

ابن شداد عز الدين

○ الأعلاق الخطيرة فى أمراء الشام الجزيرة.

ابن طباطبا محمد بن على

○ الفخرى فى الآداب السلطانية – دار صادر – بيروت ١٩٦٠

ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله

○ فتوح مصر وأخبارها – تحقيق محمد صبيح – القاهرة ١٩٧٤

ابن عذارى أبو العباس أحمد

○ البيان المغرب فى أخبار المغرب – تحقيق ليفى بروفنسال = جزءان.

لندن ١٩٤٨ – ١٩٥١

ابن قتيبة الدينورى

○ الإمامة والسياسة – تحقيق طه الزينى – جزءان – القاهرة ١٩٦٧

ابن القيم شمس الدين
○ رسالة فى الجهاد فى سبيل الله (زاد المعاد).
ابن هشام أبو محمد عبد الملك المعافرى الحميرى
○ السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، فى قسمين – القاهرة ١٩٦٩
أبو الحسن الماوردى على بن حبيب البصرى البغدادى
○ الأحكام السلطانية والولايات الدينية – القاهرة ١٩٦٩
○ كتاب الوزارة.
أبو بكر الرازى
○ كتاب الحاوى – حيدر أباد الدكن ١٩٥٥
أبو داواد الأنطاكى
○ كتاب التذكرة فى الطب – ثلاثة أجزاء – القاهرة بدون سنة نشر
أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى
○ كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية – تحقيق د. محمد حلمى أحمد – القاهرة ١٩٥٦ – ١٩٦٢
أبو عمر محمد بن يوسف الكندى
○ الولاة والقضاة – بيروت ١٩٠٨
أبو يعلى محمد بن الحسن الفراء
○ الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى – القاهرة ١٩٦٦
أبو يوسف القاضى
○ كتاب الخراج نشره قصى محى الدين الخطيب –القاهرة ١٣٠٢هـ
أحمد أمين
○ حى بن يقظان مجموعة ذخائر العرب.
أحمد شلبى (دكتور)
○ موسوعة الحضارة الإسلامية، الجزء الخامس – القاهرة ١٩٧٢
○ الفكر الإسلامى منابعه وآثاره – القاهرة ١٩٧٠

أحمد عادل كمال

○ الطريق إلى المدائن – دار النفائس – لبنان ١٩٧٢

○ القادسية – دار النفائس – لبنان ١٩٧٣

أحمد عبد الرازق (دكتور)

○ تاريخ مصر الإسلامية وآثارها – دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٩٣

○ الحضارة الإسلامية: جزءان – دار الفكر العربى – القاهرة ٢٠٠٢.

أحمد فكرى (دكتور)

○ المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها – الإسكندرية ١٩٦٠

آدم متز

○ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى – ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة: جزءان – القاهرة ١٩٥٧

السيوطى جلال الدين

○ تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٦٩

○ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة: جزءان – القاهرة

الطبرى محمد بن جرير

○ تاريخ الرسل والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزءًا. القاهرة ١٩٦٩ – ١٩٧١

الفتح بن على البندارى

○ سنا البرق الشامى – تحقيق فتحية النبراوى – دار اللواء، الرياض ١٩٨٩

أنستاس الكرملى

○ النقود العربية وعلم النميات – رسائل فى النقود للبلاذرى والمقريزى والذهبى. بيروت – بدون سنة نشر

بدوى عبد اللطيف (دكتور)

○ الميزانية الأولى فى الإسلام – بيروت ١٩٧٣

○ تاريخ الفارقى – الدولة المروانية – دار الكتاب اللبنانى – بيروت ١٩٧٤

حسن الباشا (دكتور) وآخرون
– القاهرة تاريخها – فنونها – آثارها – مطبوعات مؤسسة الأهرام
حسن الباشا (دكتور)
○ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ٣ أجزاء.
القاهرة ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٨
حسن أمين (دكتور)
○ المسجد المهد الأول للتعليم عند المسلمين. مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢ ص ١٥ : ٢٦– الإسكندرية ١٨٦٨
حسن محمود (دكتور)
○ الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى – دار الفكر العربى – القاهرة بدون.
حمزة طاهر
○ تاريخ الحضارة الإسلامية – القاهرة بدون.
الخوارزمى
– مفاتيح العلوم.
زكى مبارك (دكتور)
○ التصوف الإسلامى فى الآداب والأخلاق – جزءان – القاهرة ١٩٥٤
رأفت النبراوى (دكتور)
○ السكة الإسلامية فى مصر. مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر – القاهرة ١٩٩٣
سعيد عاشور (دكتور)
○ العصر المماليكى فى مصر والشام. النهضة العربية – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٧٦
○ بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته – القاهرة ١٩٨٧
صابر دياب (دكتور)
○ سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط – القاهرة ١٩٧٣

صبحى الصالح (دكتور)
○ النظم الإسلامية – بيروت ١٩٧٨
ضياء الدين الريس (دكتور)
○ النظريات السياسية الإسلامية – القاهرة ١٩٦٩
○ الخراج فى الدولة الإسلامية – القاهرة ١٩٧١
عبد الحليم منتصر (دكتور)
○ تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه – القاهرة ١٩٧٥
عادل زعيتر
○ حضارة العرب للمستشرق جوستاف لوبون، القاهرة .
الطبعة السادسة – القاهرة ١٩٧٥
عبد الرحمن زكى (دكتور)
○ القاهرة تاريخها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ – القاهرة ١٩٦٩
عبد العزيز سالم (دكتور)
○ تاريخ المغرب الكبير «العصر الإسلامى» – الإسكندرية ١٩٦٦
○ المسلمون وآثارهم فى الأندلس – لبنان ١٩٦٢
○ التاريخ والمؤرخون العرب – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر – الإسكندرية ١٩٦٧
عبد المنعم ماجد (دكتور)
○ الناصر صلاح الدين – بيروت ١٩٦٧
○ مقدمة فى مصادر التاريخ الإسلامى – القاهرة ١٩٦٤
○ الذيل على المقدمة – القاهرة ١٩٨٠
عز الدين فراج
○ فصل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية – القاهرة ٢٠٠٢
فاروق عمر (دكتور)
○ الإسلام والخلافة – بيروت ١٩٦٩
○ الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية بيروت ١٩٧٧

فتحية النبراوى (دكتورة)

○ الجدل العقدى بين رسول الله واليهود فى المدينة – الرياض ١٩٧٦

○ دراسة فى عصر الخلفاء الراشدين – الرياض ١٩٧٧

○ العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية فى العصور الوسطى ١٠٠٠–١٣٠٠م – الدار السعودية – جدة ٢٠٠٤

○ علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث – الإسكندرية ١٩٩٣

الدار السعودية – جدة ٢٠٠٢

القلقشندى أبو العباس أحمد بن على

○ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا – ١٤ جزءًا – مجموعة تراثنا – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة للنشر – القاهرة ١٩٦٣

كراتشكوفسكى

– تاريخ الأدب الجغرافى: جزءان – ترجمة صلاح الدين عثمان – القاهرة ١٩٦٢

محمد الغزالى

○ دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين – القاهرة ١٩٦٤

○ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، دار الشروق – القاهرة ١٩٩٢

محمد جمال الدين سرور (دكتور)

○ الحضارة الإسلامية من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى.

محمد عبد الله عنان

○ تاريخ الجامع الأزهر – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٥٨

○ مؤرخو مصر الإسلامية. القاهرة ١٩٦٩

محمد فريد أبو حديد

○ فتح العرب لمصر – ترجمة كتاب فتح العرب لمصر تأليف أ. ج. تبلر – القاهرة ١٩٣٣

محمد فؤاد عبد الباقى

○ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – (كتاب الشعب)

محمد كرد على

○ الإسلام والحضارة الغربية جزءان – القاهرة ١٩٦٨

محمود قاسم (دكتور)

○ المنطق الحديث ومناهج البحث – القاهرة ١٩٧٠

المقريزى تقى الدين أحمد بن على

○ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – جزءان – بيروت – بدون سنة نشر

○ إغاثة الأمة بكشف الغمة – تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، د. جمال الدين الشيال – القاهرة ١٩٥٧

ناجى معروف

○ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٧٧

نبيل محمد عبد العزيز (دكتور)

○ خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك – مجلة الجمعية التاريخية – المجلة ٢٣ – القاهرة ١٩٧٦

نجيب ميخائيل (دكتور)

○ سورية القديمة – الإسكندرية ١٩٦٤

نفيس أحمد

○ الفكر الجغرافى فى التراث الإسلامى – ترجمة فتحى عثمان – القاهرة ١٩٨٤

يحيى بن آدم

○ كتاب الخراج – تحقيق أحمد شاكر – القاهرة ١٣٨٤هـ

ثانيًا: المصادر الأجنبية:

Arnold Thomas, Sir. The Legacy of Islam, Oxford, 1931.

Ayalon,D., The Structure of the Mamluk Army . BSOAS. XV .XVI, 1953 - 54.

Bosworth, C. E., The Islamic Dynasties, Islamic Survey, Edinbrugh, 1967.

Browne, A Literary History of Persia, Cambridge, 1965.

Bury, J. B. History y Creece London 1954 .

Dunlop, D. M., Arab Civilization to AD 1500 Beirut 1971 .

Gibb, H.A.R., The Armies of Saladin , Studies on Islamic Civilization, London, 1962.

Government & Islam Under The Abbasids, Paris, 1961.

Goitien, S.D. A Mediterranean Society, Vol. I. Economic Foundation, Berkeley, 1967 .

Grohmann, A., Arabic Papyri in Egyptian Libraries, 3 vols. 1934. 36.38.

Kramer , History Begins at Sumer , lieden 1961 .

Muir, W. , The Caliphate, Its Rise, Decline & Fall, Edinbrugh, 1915.

Lewis & Holt, Historians of the Middle East, London . 1964 .

Nicholson . litarary History of the Arabs. CAMBRIDGE. 1969.

Pirenne, Henri, Economical Social History of Medival Europe, lieden, 1978 .

Rosenthal E., Political Thought in Medival Islam, Cambridge, 1967.

Sauvaget, J., Introduction a L'histore de L'Oirent. Musulman. Paris, 1961.

Savory, Islamic Civilization Cambridge, 1975 .

Schacht, J. & C.E. Bosworth, The Legacy of Islam, Oxford, 1974.

Sourdel, D., Le Vizirat Abbaside, Damas, 1960 .

Sykes, A History of Persia, London, 1915 .

Tibawi , A. L. Islamic Education, London , 1972 .

Tierney Brian, The Middle Ages New York , 1970

Vasiliev, A., Byzantine Empire, 2 Vols., Madison, 1958.

Von Grunebaum, Medieval Islam, chichago prers, 1953.

Watt, M., Muhammad Prohpet & Statesman, London, 1964 .

Watt, Islam & the integration of Society, London , 1961.

Wellhausen, J., Arab Kingdom & its Fall, Beirut, 1963 .